Majallah Al-Qism Al-Arabi
University of the Punjab,
Lahore - Pakistan.
No.22, Issue: 2015

مجلة القسم العربي
جامعة بنجاب، لاهور–باكستان.
العدد الثاني والعشرون، 2015م.

الشيخ صديق حسن خان القنوجي وإسهامه في الأدب العربي

طارق محمود شفيع

Abstract

This research deals with the relationships and linkages between Indian and the Arab countries, and I also reported that the Arabic language was known to Indian since it began migrations to Arab countries. This Language was not a language that was unknown for the Indians. Then, when Islam entered the country the Arabic language, became religious language and Muslims scholars composed their works in this language. Among these scholars Sheikh Alqannoji who contributed a valuable contribution to Arabic literature, and then I reported the books written by him.

نظرة عابرة على الصلات القائمة بين الهنود والعرب:

إن الصلات– على اختلافها– كانت قائمة بين الهند والبلاد العربية منذ القديم من الزمان، لما بدأت الهجرات من شبه القارة إلى البلاد العربية وخاصة الإسلامية منها. ولا يخفى على ذي إلمام بتاريخ شبه القارة الهندية أن الهند كانت أرضا ذات غزوات وهجرات حققها أقوام وشعوب.فأدى ذلك إلى اختلاط شديد مع من كانوا يسكنونها من قبل، وذلك لأن كل من نزل بها من الأقوام والملل، أثر في اللغة والثقافة والتقاليد والآداب.فتاريخ العلاقة اللغوية يعود إلى تاريخ اختلاط العرب بالهنود. وازدادت هذه العلاقة واشتدت حين تم فتح هذه البلاد على أيدي المسلمين ودخلها

الإسلام مع لسان عربي مبين. فلم تكد اللغة العربية مجرد لغة الفاتحين فحسب، بل صارت مصدر دينهم، لا تتم الشعائر الدينية بدونها.

إن قوافل العرب التجارية سببت في تنشئة اللغة العربية . بعضها استوطنوا الهند فبدأوا يعيشون فيها مثل سكان الهند الأصليين، تزوجوا وبيضوا وفرخوا فيها،فأثروا في لغة أهل الهند. فأقبل أهل الهند على العربية وبدأوا يتعلمونها وينجزون أعمالهم العلمية فيها على أوسع نطاق الهند . فكتبت كتب لا تأتي تحت الحصر باللغة العربية.

شاعت اللغة العربية شيوعا وحتى في الجماهير والدهماء فضلا عن أوساط العلماء بعد تأسيس الدولة الإسلامية فيها.الفتوحات الإسلامية أسفرت عن الهجرات العربية إلى المناطق التي فتحت على أيدي المسلمين. فانتشرت اللغة العربية كما أن القبائل العربية توجهت وتوطنت هذه البلاد. فحصل الاختلاط بين الوافدين من العرب وبين سكان الهند، وبدأت سكان الهند يتعلمون لغة الفاتحين ونستطيع أن نقول أن هذا الاختلاط نتج عنه تعريب هذه المناطق،بالمراتب المختلفة.

فصار التراث العربي يمثل عنصرا دينيا في شبه القارة الهندية،وظاهرة بارزة من مظاهر الثقافة الإسلامية.فبدأت الكتب و المدونات تدون باللغة العربية في مجال التفسير و الحديث النبوي الشريف و أصوله، والفقه و أصوله،والأدب و اللغة و المعاجم و النحو و الصرف و البلاغة و العروض و الشعر و الكلام و المنطق و الفلسفة والعقيدة و الطب و الجغرافية و الفلكيات و الأسفار و الموسوعات والطبقات و الرجال.

بروزعلماء العربية وأدباءها إلى حيز الوجود:

ففي شبه القارة الهندية برزت نخبة طيبة من كبار العلمآء والأدباء الذين كان لهم أثر بليغ في المحافظة على الدين ولغته والشريعة والدعوة الإسلامية الغرآء، والذين بذلواجهودهم المضنية لصالح الأمة المسلمة وسعادتها،وقد تركوا لنا ذخيرة ضخمة من كتب التراث العربي الأصيل كل فن و لون . والجدير بالذكر أن ما وصل إلينا من هذا التراث الغالي جزء من الكل الذي لا نعلم به. إن كثيرا من أعمالهم العلمية والأدبية ومؤلفاتهم العلمية النادرة قد ضاعت، ومنها ما وجد وحقق و طبع. نرى من بين هؤلاء

العلماء اسما يطلع كما تطلع الشمس من بين النجوم والكواكب. ألا وهو السيد النواب صديق حسن خان القنوجي.

السيد صديق حسن خان القنوجي وحياته:

هو أبوالطيب صديق بن حسن بن علي الحسيني البخاري القنّوجي، وهو سيد من السادات، ولنسبه شرف كبير حيث تنتهي شجرته إلى سيد الأنبياء والمرسلين نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – كما يقول هو نفسه:"أنا صديق بن حسن بن علي بن لطف الله بن عزيز الله بن لطف علي بن علي أصغر بن سيد كبير بن تاج الدين بن جلال رابع بن سيد راجوشهيد بن سيد جلال ثالث بن حامد كبير بن ناصر الدين محمود بن جلال الدين بخاري بن أحمد كبير بن جلال أعظم بن علي مؤيد بن جعفر بن أحمد بن محمد بن عبدالله بن علي أشقر بن جعفر زكي بن علي نقي بن محمد تقى بن علي رضا بن موسى كاظم بن جعفر الصادق بن محمد باقر علي زين العابدين بن حسين السبط بن فاطمة بنت النبي محمد – صلى الله عليه وسلم– .[1]

مولده وأسرته:

ولد العلامة صديق حسن خان يوم الأحد، التاسع عشر من شهر جمادى الأولى عام 1238هـ الموافق 1832/10/14م في مدينة قنّوج، والتي تقع بالقرب من مدينة كانفور الصناعية الشهيرة في شمال الهند[2]، في بيت شيخ وقور، وهو السيد حسن بن علي (المعروف بأولاد حسن) بن لطف الله الحسيني البخاري القنّوجي، المولود في عام 1200هـ في مدينة قنّوج بالهند . والده الكريم كان عالما كبيرا، شهيرا بالورع والتقوى، وكان من تلامذة الشيخ محمد نور والشيخ مرزا حسن علي[3]، والذى كان عالما متبحرا في علوم الحديث النبوي الشريف وكان من تلامذة الشيخ الشاه رفيع الدين[4] والشاه عبدالعزيز[5] ابنا الشاه ولي الله المحدث الدهلوي .ثم تلمّذ على الشيخ الشاه عبدالعزيز بن الشيخ الشاه ولي الله المحدث الدهلوي –رحمه الله– وعلى الشيخ الشاه رفيع الدين بن الشاه ولي الله المحدث الدهلوي[6].

وكان والد السيد حسن خان بجانب دعوته للناس إلى دين الحق يلم بتأليف الكتب والتصنيف حيث ألّف أربعة عشر كتاباً في الحث على الالتزام والتمسك بالقرآن والسنة، والرد على البدع والخرافات والخزعبلات التي أدخلها المبتدعون المعرضون في دين الله المتين. ومن مؤلفاته ما يذكر أدناه:

1. الإختصاص ببيان الحدود والقصاص. 2. تقوية اليقين في الرد على عقائد المشركين.3. نور الوفامن مرآة الصفا. 4. رسالة في معنى الكلمة الطيبة. 5. رسالة في رد التعزية والضريح. 6. رسالة في آداب التذكير 7رسالة في آداب البيعة. 8. رسالة في بيان ما أهل به لغير الله[7].

توفي هذا العالم الجليل النحرير الصالح يوم الخميس عام 1253هـ في مدينة قنّوج ودفن بها.

نشأته العلمية وشخصيته العبقرية:

مما لا يختلف فيه الاثنان أن بيئة البيت تؤثر تأثيرا بالغا في تكوين شخصية الإنسان وتشكيلها.الطفل يكون خالي الذهن وصافي القلب، يتأثر بكل ما يجد حوله، وبكل ما يراه ويسمعه، يقبل على كل شئ يعجبه.فمن حسن حظ السيد صديق حسن خان أنه ورث من أبيه العلامة حسن بن علي، المعروف بـ"أولاد حسن" مكتبة زاخرة، فيها كتب قيمة. فصار يشتاق إلى مطالعة الكتب ودراستها، فيفيدنا مفسرنا متحدثا عن نفسه في ذلك:

" كنت طفلا صغيرا حين الشيخ الحسيني (خادم والدي) كان يشمّس كتبه، فكنت ألعب بها وأقلب أوراقها، وأطالع أحيانا، فأفهم بعض الفقرات ولاأفهم بعضها. لذلك مال قلبي إلى الدراسة، وكنت أشتاق دائما إلى قراءة الكتب وفهمها، فما تركت كتابا إلا وقرأته من أوله إلى آخره"[8].

للشيخ السيد صديق حسن خان شرف التلمذ على عديد من كبار العلماء وخاصة على مفتي القارة الهندية آنذاك سماحة الشيخ العلامة الإمام صدرالدين- رحمه الله تعالى- فبعدما انتهل من العلوم والمعارف من جهابذة العلماء استأهل للتأليف

والتعليق، حيث ألف بعض الكتب والرسائل وقام بالتعليق على بعض الكتب، وهو طالب علم يدرس، فنظرا إلى ذكاءه ومؤهلاته الدراسية، ومواهبه الفطرية، أجازه سماحة المفتي صدر الدين، إجازة عامة بمنح شهادة له بهذا الصدد.[9] ولقد أثنى على ذكاءه وقوة ذاكرته وتفوقه على أقرانه و زملائه من حيث الفهم والدراسة والعلم، حيث جآء في تلك الشهادة ما يلى:

المولى السيد صديق حسن خان القنّوجي له ذهن سليم، وذاكرة قوية، وفهم ثاقب ومناسبة تامة بالكتب و مطالعة صحيحة واستعداد كامل،قد اكتسب مني كتب المعقول الرسمية منطقها وحكمتها، ومن علم الدين كثيرا من البخاري و قليلا من تفسير البيضاوي، وهو مع ذلك ممتاز بين الأمثال والأقران فاق عليهم في الحياء والرشد والسعادة والصلاح و طيب النفس وصفاء الطينة والعزبة والأهلية وكل الشأن[10]

أسفاره إلى ولاية بهوفال:

نظرا لتحسين الظروف المعيشية، سافر الشيخ القنّوجي إلى ولاية "بهوفال" التي تقع وسط الهند، وكانت معروفة بالعلم والعلماء، وأسواق وجوامع، وحدائق ذات بهجة، والتي هي الآن عاصمة الولاية الوسطى"مدهيا برديش". وكان هذا السفر في عام 1471هـ واستغرق خمسة و عشرين يوما. وقدم طلبا لمدير شئون الدولة الشيخ جمال الدين بن وحيد الدين للحصول على وظيفة مناسبة، فقبل طلبه و عينه على وظيفة تدوين تاريخ مملكة بهوفال بمرتب شهري قدره ثلاثون روبية، ولكن الشيخ جمال الدين لما وجده فطنا، ذكيا وأمينانشيطا، أكرم عليه بتربيته في وظيفته. وكان الشيخ القنّوجي لم يغفل عن واجبه الديني حيث كان يؤم الناس في المسجد ويلقي الخطب طواعية، ابتغاء مرضاة الله تعالى. وقد جرى بينه وبين عالم في الحكومة نقاش في بعض المسائل الفقهية أدى إلى فصل الشيخ القنّوجي وعزله من وظيفته و منصبه، علما بأن العمل الوظيفي الأول له هذا كان في عهد مملكة الملكة سكندرة جهان بيغم[11].

زواجه الأول:

ارتبط الشيخ القنّوجي -رحمه الله-بالحياة الزوجية حين رأى الشيخ جمال الدين " مدير شئون المملكة" فيه مكانة عالية من العلم والمعرفة والفضل والصدق والأمانة والإخلاص والتقوى فزوّجه ابنته الأرملة "ذكية بيغم" التي كانت معروفة بالصلاح والعلم والتقوى. وذلك بتاريخ 1277/8/25هـ . وكان هذا الزواج مباركا حيث استطاع الشيخ القنّوجي أن يستقدم والدته وشقيقاته إلى مملكة بهوبال ورزقه الله سبحانه وتعالى من هذه الزوجة بالإبنين وهما السيد نورالحسن والسيد علي حسن[12].

زواجه الثاني:

ولما انتقلت ملكة بهوبال "سكندره بيغم" إلى جوار ربها بتاريخ 1285/7/13هـ وتولت عرش المملكة ابنتها "شاه جهان بيغم"بتاريخ 1285/8/1هـ، شعرت الملكة الجديدة بتزايد المسئوليات يوما فيوما، وبالتالى لمست بالإحتياج إلى مستشار خاص، له خبرة في تدبير شئون الدولة ويتمتع بالصدق والأمانة والذكاء الخارق، بالإضافة إلى غزارة العلم والمعرفة، فوجدت منذ عهد أمها -المغفور لها بإذن الله-في الشيخ صديق حسن خان تلك المؤهلات والكفاءات. فبعد توليها العرش بثلاث سنوات، أعربت عنه رغبتها في الزواج منه لتجده شريكا لحياته، يساعدها في إدارة شئون دولتها، فتم الزواج الذي غير مجرى حياة الشيخ القنّوجي، فكان بداية عهد جديد بالنسبة له.[13]

الاعتزاز بلقب "أمير الملك"

إن الحكومة البريطانية المستعمرة لما رأت أن مملكة بهوفال الجديدة جعلت زوجها الشيخ صديق حسن خان شريكا في الحكم والحكومة بعد زواجها فيه اضطرت إلى تتويجه بلقب"عالى جاه"أي أمير الملك وأصدرت مرسوما بتعظيم الشيخ القنّوجي في سائر الهند رسميا. وذلك بإطلاق المدفعة سبع عشرة طلقة وإلباس فضيلته بالخلع الفاخرة على رؤوس الأشهاد عام 1289هـ، فارتفع شأن القنّوجي وبدأ ارتقاءه وتقدمه رغم أنف الحاسدين والحاقدين وأعداءه الضالين المبتدعين. وتمكن الشيخ عن طريق

سلطته واتخاذه وسائل الدولة من تنفيذ خططه العلمية والإصلاحية، ونشر تعاليم الدين الصحيحة في أرجاء البلاد.[14]

وفاة الشيخ القنّوجي رحمه الله :-

لقد أصيب الشيخ العلامة صديق حسن خان في آخر عمره بمرض الاستسقاء الذى بدأ يزداد يوما فيوما. ففي يوم الأربعاء 1307/6/29هـ أفاق قليلا عقب صلاة العشاء فسأل عن كتابه الأخير "مقالات الإحسان" الذى كان تحت الطبع في أحد المطابعه بمدينة آغره، فقيل له إنه قد تم طبعه فحمد الله وأثنى عليه وقال: قد انتهى تأليفي مع انتهاء الشهر" وعندما قدم له بعض الأدوية بعد منتصف الليل أبى أن يتناوله قائلا: لايفيدني أي دواء " ففاضت روحه إلى بارئها في الساعة الواحدة وخمس وثلاثين دقيقة-إنا لله وإنا اليه راجعون-. وتم تغسيله وتكفينه حسب وصيته على طريقة السنة عقب صلاة الفجر وصلى عليه خلق كثير ولعدة مرات ثم دفن جثمانه الطاهر في مقبرة الأسرة الخاصة قبل صلاة الظهر رغم صدور أمر من الحكومة الإنكليزية بتشييع جنازته وتدفين جثمانه بتشريف يليق بالأمراء وأعيان الدولة.[15]

تغمده الله بواسع رحمته وأسكنه فسيح جناته.

إن العلامة نواب صديق حسن خان القنّوجي كان مواظبا على التمسك بكتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- و معتصما بهما في كل الأحوال عاملابالدليل، تاركا التقليد الجامد، متجنبا من المتفقهين وأصحاب العقليات الظاهرة، و متبعا طريقة السلف الصالحين من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأتباعهم. وكان تقيا، ورعا، ملتزما بالسنة ورافضا البدع والخرافات. وبناء على جهوده وزهده وورعه وتقواه قد أسلم على يديه أكثر من عشرة آلاف إنسان، علما بأنه قد ألف عديدا من الكتب القيمة في الحث على التمسك بكتاب الله وسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم- والرد على البدع والخرافات.

ومن الحقيقة الثابتة أن الشيخ القنّوجي كان شغوفا منذ نعومة أظفاره بالعلم والمطالعة ودؤدبا على البحث والتحقيق، فكأنه ولد من أجل مطالعة العلوم ومختلف الفنون والقيام بنشرها وإبلاغها، فكان له في الكتابة سرعة عجيبة وملكة غريبة منقطعة النظير، حيث كان يكتب في يوم واحد عدة كراريس، ويؤلف كتبا ضخمة خلال أيام قلائل. فقلما مضى أحد من الأغنياء سلك هذا المسلك وجمع بين الرئاستين، العلمية والحكومية. فبهذا تمكن العلامة القنّوجي من تأليف أكثر من 222 كتاباً ورسالةً في مختلف العلوم والفنون أما مؤلفاته العربية عددها أربعة و خمسون كما نذكرها فيما يلى(16)

مؤلفاته العربية:

التفسير

1. فتح البيان في مقاصد القرآن.
2. نيل المرام من تفسير آيات الأحكام.

الحديث

1. الإدراك بتحريج أحاديث رد الإشراك
2. الإذاعة لما كان ومايكون بين يدى الساعة
3. أربعون حديثا في فضائل الحج والعمرة.
4. أربعون حديثا متواترا
5. إكليل الكرامة في تبيان مقاصد الإمامة
6. بلوغ السيول من أقضية الرسول (صلى الله عليه وسلم).
7. الحرز المكنون من لفظ المعصوم المأمون
8. حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة
9. الحطة في ذكر الصحاح الستة
10. الرحمة المهداة إلى من يريد زيادة العلم على أحاديث المشكاة
11. السراج الوهاج في كشف مطالب صحيح مسلم بن الحجاج.

12. الروض البسام من ترجمة بلوغ المرام.
13. العبرة لما جاء في الغزو والشهادة والهجرة.
14. عون الباري لحل أدلّة البخاري.
15. فتح العلام شرح بلوغ المرام.
16. نزل الأبرار بالعلم المأثور من الأدعية والأذكار.

العقيدة:

1. الإنتقاد الرجيح بشرح الإعتقاد الصحيح.
2. الجوائز والصلات.
3. حضرات التجلي من نفحات التحلي والتجلي
4. خبيئة الأكوان في افتراق الأمم على المذاهب والأديان.
5. الدين الخالص.
6. الغنة ببشارة الجنة لأهل السنة.
7. قصد السبيل إلى ذم الكلام والتأويل.
8. قطف الثمر في عقيدة أهل الأثر.
9. منيرساكن الغرام إلى روضات دارالسلام.
10. يقظة أولي الإعتبار من ذكر النار وأصحاب النار.

الفقه وأصوله:

1. الإقليد لأدلة الإجتهاد والتقليد.
2. الجنة في الأسوة الحسنة بالسيئة.
3. حصول المأمول من علم الأصول.
4. ذخر المحتى من آداب المفتي.
5. رحلة الصديق إلى البيت العتيق.
6. الروضة الندية في شرح الدر البهية.
7. الطريقة المثلى في الإرشاد إلى ترك التقليد واتباع ماهو الهوى.

8. ظفر اللاضى بما يجب في القضاء على القاضي.
9. قضاء الأدب من تحقيق مسألة النسب.

اللغة والأدب

1. الإنشاء العربي.
2. البلغة في أصول اللغة.
3. ربيع الأدب
4. العلم الخفاق من علم الإشتقاق.
5. غصن ألبان المورق بمحسنات البيان.
6. الكلمة العنبرية في مدح خير البرية.
7. لف القماط على تصحيح بعض ما استعملته العامة من المعرب والمولد والدخيل والأغلاط.
8. نشوة السكران من صبهاء تذكرة الغزلان.

التاريخ و التراجم:

1. إحياء الميت بذكر مناقب أهل البيت.
2. التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول.
3. رياض الجنة في تراجم أهل السنة.
4. لقطة العجلان مما تمس إلى معرفته حاجة الإنسان.
5. مراتع الغزلان في تذكار أدباء الزمان.

الأخلاق والمواعظ:

1. تخريج الوصايا من خبايا الزوايا.
2. الموعظة الحسنة بما يخطب به في شهور السنة.

علم المنطق:

1. التذهيب شرح التهذيب.

الموسوعات:

1.أبجد العلوم.

اعتراف العلمآء بعلمه

إن العلامة صديق حسن خان كان يحتل مكانة عالية بارزة في أوساط علماء زمانه وتفوق بها على أقرانه، وذلك أنه كان يلم إلماما بالغا بالعلوم والمعارف في مختلف الموضوعات من التفسير والحديث والفقه والبلاغة وإدارة شئون البلاد. فظهرت شخصيته و برزت على المستوى المحلي والإقليمي والدولي فأصبحت شخصية عالمية، وكانت فكرته أيضا كذلك حيث كان يردد قائلا:

إذا كان أصلي من تراب فكلها بلادي وكل العالمين أقاربي[17]

ومن الأصول والقواعد المعروفة أن الإنسان تتميز شخصيته بأفكاره المستنيرة وأعماله الجبّارة إذا شهدت بها أقرانه و يعترف بها أمثاله، فمن أبرز شهادات علماء عصره له في العالم الإسلامي ما يلى:

1 . ذكره الشيخ خير الدين نعمان الآلوسي صاحب كتاب "جلاء العينين في محاكمة الأحمرين" في رسالة له وجّهها إلى الشيخ صديق حسن خان، وهو يخاطبه من العراق بعبارات تالية: "مولانا الأمير السيد، النحرير النواب، المفسر الشهير،مقتدى الأعاظم، ومن لاتأخذه في الله لومة لائم-متع الله المسلمين بطول بقاءه-[18].

2 كتب إليه الشيخ راشد بن علي بن عبدالله بن سليمان النجدي النعامي من استنبول-تركيا- وهو من علماء الحنابلة، عدة رسائل أثنى على مؤلفاته فيها قائلا: "ولي أصحاب ينيفون على خمسمائة ألف نفس من الرجال والنساء والأطفال. كلنا على معتقدكم الطاهر المطهر ومؤلفات مشائخنا مطابقة لما أنتم عليه ومانحن عليه فالحمد لله الذى نصر الحق بكم على حين فترة من أنصاره-ذلك فضل الله يؤتيه من يشآء، والله ذو الفضل العظيم- ألا وإني أنا وأصحابي نعتقد: أنك مجدد هذا القرن، وكنا قبلُ نحسب أن هذه "الطريقة السلفية" لنا، وليس لنا فيها مشارك في الدنيا حتى وقفت على بعض مؤلفاتكم الشريفة فارددت بها فرحا وسرورا .[19]

3. كان الشيخ محمد بن عبدالله بن حميد، إمام المسجدالحرام والمفتي والمدرس فيه عام 1286هـ يكن للشيخ صديق حسن القنّوجي في نفسه مكانة عالية حيث أعرب عنها بقوله: "إن الله سبحانه وتعالى أوجده خادما لكتابه في هذا الجيل، ولسنة نبيه فهو أحق بأن يسمى مجدد الألف الثاني لما حواه من حفظ الآثار النبوية بالألفاظ والمعاني وما منحه الله من فهم الكتاب العزيز والسبع المثاني.(20)

4. ذكر الشيخ حمد بن علي بن محمد بن عتيق وهو علامة عصره ومن كبار علماء نجد -أي الرياض حاليا- بالمملكة العربية السعودية، وصاحب مؤلفات عديدة ذكر في رسالة له كتبها إلى الشيخ صديق حسن خان: "إعلم -وفقك الله-إنه كان يبلغنا أخبار سارة بظهور أخ صادق ذى فهم راسخ، وطريقة مستقيمة يقال له: صديق، فنفرح بذلك ونسر لغرابة الزمان وقلة الإخوان وكثرة أهل البدع والأغلال.(21)

وهكذا متوجه كثير من علماء زمانه من مختلف بلدان العالم الإسلامي، واعترفوا بمكانته الفذة في علوم القرآن والسنة والفقه، وجهوده الجبارة في إصلاح شئون البلاد والعباد.

ومما هيأه لاحتلال هذه المكانة؛نبوغه في ضروب من العلم، و لعلي أذكر شيئاً من هذا من وجهة نظر بعض العلماء الذين تيسّر لهم الاطلاع على مؤلفاته و أيضا من خلال التأمل في بعضها كما يأتي:

أ-علم التفسير:

هذا من أشهر الجوانب التي ذاع فيها نبوغ القنّوجي ، و طارت شهرته، فقد كان صاحب معرفة واسعة بأسرار التنزيل، و أفضل منهج عنده هو التفسير بما ورد عن رسول الله صلي الله عليه وسلم، أو ما روي عن الصحابة الذي هو منهج السلف.

يقول محمد بن عبد الله بن حميد مفتي الحنابلة معلقا على تفسيره "فتح البيان" أبدع في هذا التفسير الجليل الذي لم يبعد ولا أظن يوجد له مثيل، و سماه بفتح البيان في مقاصد القرآن، و انتقى فيه لباب التأويل و كشف فيه عن أسرار التنزيل، و اعتمد

على الآثار الواردة، و ترك ضعاف الأقاويل، فلقد أوجده الله سبحانه خادما لكتابه في هذا الجيل، و لسنة نبيه المخصوص بالتبجيل، فهو أحق بأن يسمي مجدد الألف الثاني لما حواه من حفظ الآثار النبوية بالألفاظ و المعاني، و ما منحه الله من فهم الكتاب العزيز و السبع المثاني، فهذا التفسير أعدل شاهد صادق، و من لم يسلم فهو مكابر مشاقق، فإن هذا المؤلف من نعم الله سبحانه على هذه الأمة المحمدية في هذا الزمن الذي اندرست في السنة النبوية، و دثرت فيه الآثار المصطفوية"[22].

و كما يقول حمد بن عتيق[23]– عندما وصل إليه كتابه "فتح البيان"– في رسالته التي بعثها إليه:

"اعلم وفقك الله أنه كان يبلغنا أخبار سارة بظهور أخ صادق ذي فهم راسخ و طريقة مستقيمة يقال له صديق فنفرح بذلك ونسر لغرابة الزمان و قلة الإخوان و كثرة أهل البدع و الأغلال..... فبينما نحن كذلك اذ وصل إلينا التفسير بكماله، فرأينا أمرا عجيبا ما كنا نظن أن الزمان يسمح بمثله و ما قرب منه، لما من التفاسير التي تصل إلينا من التحريف و الخروج عن طريقة الإستقامة و حمل كلام الله على غير مراد الله.... فلما نظرنا في ذلك التفسير تبين لنا حسن قصد منشيه و سلامة عقيدته و تبعده من تعمد مذهب غير ما عليه السلف الكرام"[24].

ب– علم الحديث:

هذا أشهر الجوانب التي نبغ فيها القنّوجي ، إذ كرس جهوده لخدمة السنة النبوية و إحياء التراث الإسلامي بعد التحقيق، و ألف وصنف المؤلفات المختصرة و المطولة المشتهرة في بلاد العرب و العجم التي تشهد بسعة اطلاعه و دقته.

يقول العلامة محمد ميز الدمشقي [25]:

"و كم له من أياد بيضاء في خدمة العلم و العلماء و إن جحد فضله الحاسدون و ضعفاء العقول المتصنعون" [26].

و يصفه عبد الحي الكتابي:

"الأمير السيد أبو الطيب صديق حسن من كبار من لهم اليد الطولى في إحياء كثير من كتب الحديث و علومه بالهند وغيره"[27].

ج- علم الفقه:

اهتم القنّوجي بهذا الجانب اهتماما بالغا، و تفقه على المذاهب الأربعة و أصولها، و تضلع بمعرفة أقوال الفقهاء و المجتهدين، و أحكام القضاة في القضاء، حتى أصبح إماما مجتهدا عالما بمراتب الإجماع و مواطن الاتفاق.

ويرى ان التقيد بمذهب خاص بدون نظر إلى الدليل الشرعي ليس من شأن العلماء، و قد فضل أن يسلك مسلك الإنصاف مع ترجيحه ما عضده البرهان، و اختزازه سبيل المكابرة و المجادلة.

يقول الشيخ محمد قاسم [28]مبينا منهجه في كتابه " الروضة الندية" :

"سلك فيه حفظه الله تعالى مسلك الإنصاف، و جانب في الترجيح سبيل الجور و الاعتساف، وهذب مبانيه، و حرر معانيه، و اعتنى بتقدير الأدلة و نصب أعلامها، و توضيح وجوه الدلالة و أحكامها، و ذكر مذاهب الأسلاف، و ما وقع بينهم من الوفاق و الخلاف، مع ترجيع ما عضده البرهان، من غير نظر في ذلك إلى خصوصية إنسان، رائيا أن الحق أحق بأن يعض بالنواجذ عليه، و أن ما سواه يطرح في زوايا الإهمال ولا يعول عليه"[29].

ويقول الشيخ العلامة أبو الفتح محمد عبد الرشيد الشوبياني، مقرظاً على كتابه "ظفر اللاضي بما يجب في القضاء على القاضي":

"ملئت بأدلة الكتاب و السنة خضراء أوراقها، و حلي بحلى نقل مذاهب السلف و التحقيق خلخال ساقها.... فلله در كتاب هوالغاية في الباب"[30]

د- علم العقيدة:

أما في باب العقيدة فقد كان واسع المعرفة بالمذاهب المختلفة، في الوقت الذي لايعرف الناس في الهند سوى كتاب "شرح العقائد النسفية".

هـ- علم اللغة:

كان للقنّوجي حظ وافر من هذا العلم، فقد برع في علم اللغة و أصولها، و يشهد لذلك ما تناول في تفسيره من المباحث اللغوية، و مما يدل على تذوقه الأدبي ما نراه في حسن اختياره لما يستشهد به من أشعار العرب، و قد كان شاعرا، وله قصائد، منها قصيدة في مدح خير البرية منها:

أوفي أمارات النبوة أنه أعي المصاقع عمدة العرباء

أنت الذي أثنى عليك الله في سفر كريم كاشف الأشياء

ولك الشفاعة و المكانة في غد و لأنت أكرم معشر الشفعاء

و عظيم رجائي أن تكون مشفعي في عفو زلاتي بيوم جزاء[31]

إن القنّوجي لم يشتهر في العلوم الآنف ذكرها فقط، بل نرى أنه كان على صلة و ثيقة بعلوم أخرى كالتاريخ والسير و المناقب و السياسية وغيرها و طرق أبوابها، كما يقول أستاذه حسين بن محسن اليماني:

"البارع في سائر العلوم الجامع بين منطوقها و المفهوم... و كم له من تاليف مفيدة، و رسائل عديدة في كل فن من الفنون ما بين تفسير وحديث وغير ذلك، أظهر فيها شموس البراهين، واحتوت على جمل من الفوائد النفيسة للمستبصرين، فلقد أجاد فيها و أفاد، وقرر ما نقله عن الجهابذة النقاد، فعند ذلك أخرست براهينه ألسن المعترضين"[32].

و قد ترك في أكثر العلوم تواليف جمة غنية بالعلم – التي سأذكرها ضمن مؤلفاته-تدل على ثروته الواسعة، وتعبر عن مكانته و قدرته.

بعض ميزاته في التأليف:

1- إن القنّوجي اعتمد في تصانيفه على كتب السلف، و ما وجده عند علماء السلف كإبن تيمية و ابن القيم و ابن حجر و الذهبي و السفاريني و السيوطي و الشوكاني وغيرهم، لأن علماء السلف يمتازون بالأمانة العلمية و الصدق و احقاق

الحق، و إبطال الباطل في ضوء الكتاب والسنة، و اجتناب المجادلة و المكابرة مع كونهم أتقياء صالحين، يتوخون الحق في أقوالهم و كتاباتهم.

أما الخلف فما استفاد منهم إلا قليلا لوقوعهم أحيانا في التعصب المذهبي و اتباع الهوى، و ذلك لقلة علمهم"[33].

2- إنه يهتم دائما في نقل عبارة العلماء بأمرين:

ا. التصريح بإسم القائل و أن التدليس في هذا الباب خيانة كبرى.

ب. كون النقل موافقا للأصل [34].

3- استدلاله على المسائل العلمية بالأدلة القاطعة الصحيحة، و الاحتراز عن الضعيف و الرأي المجرد.

4- ترجيحه ما يرى مستدلا من الكتاب و السنة [35].

نستطيع أن نقول أن ما أنجزه الشيخ القنوجي وأسهم في الأدب العربي، لم تتمكن منه المؤسسات العلمية الكبيرة. وعلاوة على الإنجازات العلمية له خدمات بذلها في المجالات العملية من إنشاء المدارس والمعاهد العربية والعصرية وتأسيس الأكاديميات العلمية الكثيرة وتوظيف العلماء لخدمة الإسلام ولغتها، اللغة العربية- فرحمه الله رحمة واسعة وتقبل مساعيه بقبول حسن.

*_*_*

الهوامش و المصادر

[1]_القنّوجي ؛صديق حسن خان: إبقاء المنن بإلقاء المحن، مط: مطابع الشاه جهاني، بهوبال، 1305هـ.ص: 70.

[2]_القنّوجي ؛صديق حسن خان: الحطة في ذكر الصحاح الستة، مط: إسلامي أكادمي،لاهور، 1972م. ص:302.

[3] _هو مرزا حسن علي بن عبد العلي اللكهنوي،تلميذ الشاه رفيع الدين والشاه عبدالعزيز،وكان متبحرا في الحديث و علومه مات في سنة 1255هـ. راجع لترجمته .اللكهنوي؛عبد الحي: نزهة الخواطر،مط:مجلس دائرة المعارف العثمانية،حيدرآباد،دكن.ج:7،ص136.

[4]_ هوالشاه رفيع الدين نجل الشاه ولي الله المحدث الدهلوي، المحقق المتقن، مات في سنة 1255هـ.راجع لترجمته. نوشهروي؛أبويحى،امام خان: تراجم علماء هند،مط:مكتبة أهل حديث،كراتشي. ص:255.

[5]_ هوالشاه عبدالعزيز شقيق الشاه رفيع الدين نجل الشاه ولي الله المحدث الدهلوي،كان عالماً فاضلاً عابداً مات في سنة 1239هـ. راجع لترجمته نوشهروي؛أبويحى،امام خان: تراجم علماء حديث هند،ص:74.

[6]_من أعلام الإسلام في الهند،الأمير السيد صديق حسن خان: مجلة الأمة،عدد:الحادي عشر، ص78، (ذوالقعدة: 1404هـ)

[7]_ القنّوجي ؛صديق حسن خان: أبجد العلوم، مط: دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م. ج:3،ص:268.

[8]_نوشهروي؛أبويحى،امام خان؛ تراجم علماء حديث هند،ص:238.

[9]_اللكهنوي؛عبد الحي: نزهة الخواطر، ج 8: ص188

[10] _ القنّوجي ؛صديق حسن خان: الحطة في ذكر الصحاح الستة_ص:264.

[11]_ أبو نصر، سيد محمد علي حسن، مآثر صديقي، مط: نول كشور ، لكناؤ, 1343هـ.ج:2،ص:17.

[12]_القنّوجي ؛صديق حسن خان: إبقاء المنن بإلقاء المحن. ص:48

[13]_ القنّوجي ؛صديق حسن خان: إبقاء المنن بإلقاء المحن، ص:51، علي حسن؛السيد:مآثر صديقي، ج:4،ص:84.

[14]_اللكهنوي؛عبد الحي: نزهة الخواطر، : .ج:8،ص:189.

[15]_اللكهنوي؛عبد الحي: نزهة الخواطر.ج:8،ص: 191.

[16]_القنّوجي ؛صديق حسن خان: الحطة بذكر الصحاح الستة، ج:1،ص:5. مجلة صوت الأمة ،مجلة شهرية اسلامية أدبية تصدر عن دار التأليف والترجمة، الجامعة السلفية ، بنارس ،ص: 54 (شعبان 1391هـ)..

[17]_ القنّوجي ؛صديق حسن خان: الحطة في ذكر الصحاح الستة،ص:350.

[18]_ القنّوجي؛ صديق حسن خان: التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، مط: المطبعة العربية الهندية، الطبعة الثانية، 1390هـ . ص:519

[19]_ القنّوجي؛ صديق حسن خان: التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، ص: 527

[20] ـ الدكتور اختر جمال لقمان: السيدصديق حسن خان القنّوجي:آراءه الاعتقادية وموقفه من عقيدة السلف، مط: دار الهجرة،رياض، الطبعة الأولى، 1417هـ:ص:7

[21] ـ الشيخ حمد بن على بن عتيق :مجموعة رسائل، مط: دار الهجرة ، الرياض ،ص:73

[22] ـ افندي؛سليم فارسي:؛قرة الأعيان و مسرة الأذهان فى مآثر الملك الجليل النواب محمد صديق حسن خان، مط: الجوائب، قسطنطنية،1289هـ.ص:36.

[23] ـ الشيخ المحقق حمد بن علي بن محمد بن عتيق بن راشد بن حميضة و اشتهر بن عتيق نسبة إلى جده الثاني- عتيق- و كان يقيم في بلدة الزلفي' و قد كان بينه و بين القنّوجي مراسلة (1227-1319هـ) انظر:البسام؛عبد الله بن صالح: علماء نجد خلال ستة قرون،مط:مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة،مكة المكرمة.ج:1،ص:228.

[24] ـ عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ: مشاهير علماء نجد مط: دار اليمامة،1394هـ ص: 245.

[25] ـمحمد منير بن آغا النقلي الدمشق الأزهري' صاحب دار الطباعة المنيرية" تفقه في الأزهر سلفيا' مات في سنة 1367 هـ' راجع لترجمته الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، مط: دار العلم للملايين، بيروت، 1995م..ج:7، ص:310..

[26] ـ آغا الدمشقي ؛ محمد منير عبده: نموذج من الأعمال الخيرية،مط: مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، 1349هـ. ص:388.

[27] ـ الكتاني؛عبد الحي بن عبد الكبير :فهرس الفهارس،مط: دار الغرب الإسلامي،1402 هـ.ج:2،ص:386.

[28] ـهو مصحح المطبعة المصرية الأميرية.

[29] ـ افندي؛سليم فارسي:قرة الأعيان و مسرة الأذهان،ص:128.

[30] ـ المرجع نفسه،ص: 106.

[31] ـ أبو نصر؛سيد محمد علي حسن: مآثر صديقي،ج:2،ص:29.

[32] ـ افندي؛سليم فارسي:قرة الأعيان و مسرة الأذهان،ص: 64.

[33] ـ مجلة صوت الأمة ،الناشر: الجامعة السلفية بنارس، ص: 52 (شعبان 1391هـ).

[34] ـ القنّوجي؛ صديق حسن خان:إيقاء المنن،ص: 18' أبو نصر؛سيد محمد علي حسن: مآثر صديقي، ج:4،ص:169.

[35] ـ القنّوجي؛ صديق حسن خان: إيقاء المنن،ص: 34' أبو نصر؛سيد محمد علي حسن: مآثر صديقي،ج:4،ص:171.

*ـ*ـ*